مراتب الوجود
وحقيقة كل موجود

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي

المتوفى ٨٣٢هـ

اعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



حسبي الله وكفى

منزلة العلم بالله تعالى

الحمد لله الذي أعطى مراتب الوجود حقها على التمام والكمال، فظهر فيها بما علمه لها من الحسن والجمال والثبوت والزوال والميل والاعتدال، فليس في الإمكان أكمل من هذا الوجود النائل من الكمال كل مثال، أحمده به على ماله من شيم المجد والجلال، حمد من تحقق ما لذاته من صنوف الوجوب والامكان والمحال.

وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، الظاهر بكل موجود بكماله من غير حلول ولا اتصال ولا انفصال، ظهور بلا كيف يصور العقل ويحيط به الخيال، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ مظهره الأعظم ومجلاه المحيط الأقدم ورسوله الختم الأكرم ﷺ، وعلى آله وصحبه طراز الوجود المعلم، وشرف وعظم ومجد وكرم.

أما بعد فإنَّ أولى ما اعتنى به العقلاء وأعز ما صرف العمر في طلبه الفضلاء هو العلم بالله، وإنه لكثرة اتساعه وعظم شياعه لا يكاد المرء يبلغ من تداركه مقصوداً ولو كان بجميع الإمدادات ممدوداً، وإن القوم المشار إليهم بهذا العلم رضوان الله عليهم، إنما أخذوا منه طرفاً، كل على قدر قابليته وقبول الفيض المقدس والأقدس من حضرة التجلي، والتحقق بحقيقة الإتصاف والتحلي مع التأييد الإلهي بروح القدس لدى الإلقاء والتلقي، حتى أنهم مع دوام النفحات وتواتر الخيرات لم يزالوا يطلبون العلم من بعضهم بعضاً ويسيحون في الأرض للوقوع على رجل منهم؛ ليفيدهم فيه مسألة طولاً وعرضاً، ولهذا قال الجنيد ـ رضي الله عنه ـ: «لو علمت أن تحت أديم السماء علماً أشرف من علمنا هذا لرحلت إليه». تنبيهاً على شرف هذا العلم وأنه مما ينبغي للمريد أن يرحل إليه بل يجب عليه.

توجيه الرفاعي إلى العناية بالعلم بالله تعالى

وقال الشيخ أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ لتلامذته: «تعلموا هذا العلم فإن جذبات الحق في زماننا قلَّت». يريد بالجذبات المجذوبين، يعني أن المجذوبين قلّوا في الزمان، وسبب قلّتهم عدم تعرض أهل الزمان لنفحات الرحمٰن، وإن شئت قلت عدم التحلي لقبول فيض التجلي.

ثمرة أعمال أهل الله تعالى

وقد يكون قصد الشيخ بقلّة الجذبات، قلّة ظهورها على أهل الزمان، لا لكونها قليلة في نفس الأمر، لأن الله تعالى لم يزل متجلياً بجميع تجلياته، مفيضاً على خلقه بمقتضيات أسمائه وصفاته، ولقد بلغني عن شيخي الشيخ إسماعيل الجبرتي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال يوماً لبعض إخواني من تلامذته: «عليك بكتب الشيخ محيي الدين بن العربي». فقال له التلميذ: يا سيدي إن رأيت أصبر حتى يفتح الله علي به من حيث الفيض. فقال له الشيخ: «إن الذي تريد أن تصبر له هو عين ما ذكره الشيخ لك في هذه الكتب، هذا كلامهم ـ رضي الله عنهم ـ للتلامذه والإخوان إنما هو لتقريب المسافة البعيدة إليهم وتسهيل الطريق الصعب عليهم، لأن المريد قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة، وذلك لأن السالك إنما ينال ثمرة سلوكه وعلمه، والعلوم التي وصفها الكمل من أهل الله تعالى هي ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص، بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال؛ لأنها بالفيض الإلٰهي الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم، فكم بين قابلية الكامل من أهل الله وبين قابلية المريد الطالب، فإذا فهم المريد الطالب ما قصده من وضع المسألة في الكتاب وعلمه، استوى هو ومصنفه في معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف، وصارت له ملكاً مثل ما كانت للمصنف. وهكذا كل مسألة من مسائل العلوم الموضوعة في الكتب فإن الأخذ لها من المعدن الذي أخذ منه مصنفها».

نتيجة مطالعة كتب الحقيقة

وما ورد عن بعض أهل الله من منع بعض التلامذة عن مطالعة كتب الحقيقة، لأن قاصر الفهم لا يخلو إما أن يتناول كلامهم على خلاف ما أرادوه فيستعمله فيهلك أو يضيع العمر في تصفح الكتب بلا فائدة، فنهي الشيخ لمثل هذا عن مطالعة هذه الكتب واجب ليشتغل بغيرها مما فيه نفعه.

وأما من كان ذا عقل ذكي وفهم عليّ، وإيمان قوي، يأخذ من كتبنا كل ما يأخذه وينال منها كل مقصده، ولقد رأيت في زماننا هذا طائفة كثيرة من كل جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك، وغير ذلك من الأجناس كلهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال. فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه وفضله سلوكاً واجتهاداً صار من الكمل، ومن وقف بعد علمه كان من العارفين.

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

وسبب ذلك أن المسائل الموضوعة في كتب أهل الحقيقة إنما تفيدك بالوضع علم التوحيد تصريحاً، وبالعبارة والإشارة عين التوحيد كناية وتلويحاً، وبضرب الأمثال حق التوحيد رمزاً وتسنيحاً، فقد يكون بعض الكتب مسبوكاً على هذه الهيئات كلها، فيدخل بك إلى علم اليقين فإن عملت بمقتضاه، ولازمت مطالعة ذلك الكتاب على حكم ذلك العلم فإنه ينتقل بك إلى عين اليقين، ثم يرقيك إلى حق اليقين إن أعطيت نفسك لذلك العين على حكم ما ذكره المؤلف، وإلا فهو مهلك وانتهاك. فإذا بلغت إلى حق اليقين انقطعت فائدة الكتب عنك، وهذا منتهى ما تبلغ بك الكتب إليه إن كنت شهماً. وحويت تمييزاً وفهماً.

وأما حقيقة اليقين فلا تستفاد من الكتب بنوع من الأعمال البتة، لأنه في الأصل لا يدخل تحت الإفادة الكونية بحال فهو أمر وهبي فوق المدارك العلمية والعينية والذوقية يمنحه الله من يشاء من أهله، ولعلك تقول إن كان لا بد من الانقطاع فما فائدة الكتب في آخر الأمر، فإذاً أتركها في أول الأمر وارجع إلى ما ترجع إليه.

مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين

فأقول لك: إن المراتب المشار إليها بعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، التي ذكرنا عنها أنها منتهى فائدة الكتب لا يكاد أن يصل إليها، بل ولا إلى أقلها باجتهاد العمر كله، فإني قد رأيت صبياناً من أهل الطريق من إخواني بلغوا بمطالعة هذه الكتب في الأيام القليلة ما لم يبلغه رجال باجتهاد أربعين وخمسين سنة على أنهم قد كانوا سبباً لدخول أولئك الصبيان إلى الطريق، ولكنهم لما وقفوا مع سلوكهم وسار أولئك الصبيان في مطالعة كتب الحقيقة وفهمها، وتأخروا عن مداهم صار الصبيان شيوخاً في الحقيقة والشيوخ لهم صبياناً حتى أنشد منشد فقال:

وقد تبنيت آبائي على ثقة ولا محالة أني وجه كل أب

وهذا البيت لرجل من تلامذة شيخ لم نعلم له شيئاً من أعمال الطريق سوى مطالعة كتب الحقيقة حتى بلغ مع هذا العلم ما سبق به كثيراً من السابقين واسمه أبو بكر بن محمد الحكاك له نظم كثير في علم الحقيقة. فمن وقف على ديوان شعره وعرف مقداره حظي بطائل.

وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها في ديباجة هذا الكتاب حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه، لترغب في تحصيل هذا الفن الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستها ومذاكرتها مع أهلها، حيث كانوا؛ فإن الرجل منهم قد يفيدك ما لا يفيدك الكتب كلها في العمر كله، لأنك تأخذ من الكتاب بفهمك، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها، وكم بين فهمك وفهمه، ولقد كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها، فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها؛ فإنك تحصل بذلك إلى مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك إن شاء الله تعالى.

من عرف الوجود عرف الموجد

واعلم أن معرفة الله تعالى منوطة بمعرفة هذا الوجود، فمن لا يعرف الوجود لم يعرف الموجود سبحانه وتعالى، وعلى قدر معرفته لهذا الوجود يعرف موجده.

أصول مراتب الوجود

ثم اعلم أن لهذا الوجود أموراً حقية وأموراً خلقية فمنها أمور كلية، وأمور جزئية سنذكرها، ومنها أمور صورية وأمور معنوية، وتتفرع تلك الأقسام والأنواع حتى تكاد أن تخرج عن الإدراك والإحصاء مطلقاً، ولكن جميعه محصور تحت (أربعين مرتبة) من مراتب الوجود، وهي أمهات المراتب كلها، فإن مراتب الوجود كثيرة لا تحصى، لكن هذه (الأربعين مرتبة) التي نذكرها تشمل الجميع وتحصيها. وبين كل مرتبة من هذه المراتب المذكورة وبين الأخرى مراتب كثيرة لكنها تدخل تحت أحكامها، ولأجل ذلك اقتصرنا على ذكر الأربعين لأنها أصول، وها أنا أذكرها لك في هذا الكتاب مرتبة في محلها إن شاء الله تعالى، لتعرف الوجود بمعرفة هذه المراتب، والله تعالى الموفق للصواب وهو الهادي وعليه التكلان، وله الاملا ومنه التلقي وإليه الترقي وبه أكتفي وهو حسبي.

المرتبة الأولى

الغيب المطلق

من مراتب الوجود هي الذات الإلٰهية المعبر عنها ببعض وجوهها بالغيب المطلق وبغيب الغيب لصرافة الذات المقدسة عن سائر النسب والتجليات، ولهذا عبر عنها القوم بالذات الإلٰهية الساذج إذ كلت العبارات دونها، وانقطعت الإشارات قبل الوصول إلى سرادق حرمها، ومن هنا سميت بمنقطع الإشارات وبمجهول الغيب.

وكذلك سماها بعض العارفين بالعدم المقدم على الوجود يريد بذلك عدم لحوق النسبة الوجودية بمطلق الصرافة الذاتية التي علت على النسبة وغيرها، لا يريد بأنها عدمه، أي معدومة فوجدت، بعد ذلك فحاشا وكلا، بل لكونها حقيقة الوجود البحت التي هي ظلمة الأنوار فيها، أي مجهولة من كل الجهات لا سبيل إلى معرفتها بوجه من الوجوه.

ولهذا سماها رسول الله ﷺ بالعماء، لما قال له السائل: أين كان الله؟ وفي رواية: «أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال رسول الله ﷺ: في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء»[1] يعني ما فوقه نسبة ولا صفة كما أشرنا لك فيما تقدم.

ولهذا قالت الطائفة إنه المسكوت عنه، ومن ثم لا يدخله بعض المحققين في مراتب الوجود فيقول إنه أمر من وراء الوجود، ولهذا يجعل بعض المحققين مرتبة العماء من مراتب الربوبية نظراً إلى سؤال السائل حيث قال: أين كان ربنا؟ فيجعل العماء بعد مرتبة الربوبية ويجعل الأولى مرتبة الربوبية، ونحن لا نريد بهذا التجلي ذلك العماء بل ما أشرنا إليه مع قبول قوله، ومن فهم قوله وقولنا قال بالتوافق في الوجود البحت.

المرتبة الثانية

الوجود المطلق

من مراتب الوجود هي أول التنزلات الذاتية المعبر عنها بالتجلي الأول وبالأحدية وبالوجود المطلق. وقد ألفنا لمعرفة الوجود المطلق كتاباً سميناه (الوجود المطلق المعرّف بالوجود الحق) فمن أراد ذلك فيطالعه هناك، وهذا التجلي الأحدي

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه، حديث رقم (٣١٠٩) عن أبي رَزِين.

هو أيضاً حقيقة صرافة الذات، لكنه أنزل من المرتبة الأولى، لأن الوجود متعين فيه للذات، والتجلي الأحدي العماء الأول يعلو عن مرتبة نسبة الوجود إليها، وقد بينا سبب ذلك ووجهه في كتابنا المسمى بـ (الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية)، فمن أنكر معرفة ذلك فليطالع هنا، ولنقتصر هنا على ذكر نفس المرتبة إذ ليس الغرض من إنشاء هذا الكتاب إلا جمع مراتب الوجود.

واعلم أن هذا التجلي الأحدي هو رابطة بين البطون والظهور، يعني يصلح أن يكون أمراً ثالثاً بين البطون والظهور كما نرى في الخط الموهوم بين الظل والشمس، ولهذا يسميه المحققون بالبرزخية الكبرى، فالأحدية برزخ بين البطون والظهور، وذلك هو عبارة عن حقيقة الحقيقة المحمدية التي هي فلك الولاية المعبر عنها بمقام قوسين أو أدنى، وبالعلم المطلق، وبالشأن الصرف، وبالعشق المجرد عن نسبة العاشق والمعشوق، وكذلك قولهم فيه العلم المطلق، يريدون به من غير نسبة إلى العالم والمعلوم، وقولهم فيه الوجود المطلق، يريدون به من غير نسبة قدم ولا حدوث. فافهم فذلك عبارة عن أحدية الجمع بإسقاط جميع الاعتبارات والنسب والإضافات وبطون سائر الأسماء والصفات، وقد يسميه بعضهم بمرتبة الهوية، لأنها غيب الأسماء والصفات في الشأن الثاني المخصوص بالذات.

المرتبة الثالثة
الواحدية

من مراتب الوجود هو التنزل الثاني المعبر عنها بالواحدية ومنها تنشأ الكثرة بداية وفيها تنعدم الكثرة وتتلاشى نهاية، لأنها ذات قابلة للبطون والظهور فيصدق عليها كل واحد عين الثاني كما بيناه في غير موضع من مؤلفاتنا، ولهذا يسمي المحققون هذه المرتبة بالعين الثابتة، وبمنشأ السوى وبحضرة الجمع والوجود وبحضرة الأسماء والصفات.

المرتبة الرابعة
الظهور الصرف

من مراتب الوجود هي الألوهية وهي عبارة عن الظهور الصرف، وذلك هو إعطاء الحقائق حقها من الوجود، ومن هذه الحضرة تتعين الكثرة فليس كل من المظاهر فيها عين الثاني كما هو في الواحدية، بل كل شيء فيها متميز عن الآخر

تميزاً كلياً ومن هنا سميت بمنشأ الكثرة الوجودية، وحضرة التعينات الإلٰهية، وحضرة جمع الجمع، ومجلى الأسماء والصفات، والحضرة الأكملية، ومرتبة المراتب، سميت بهذا الاسم لأن المراتب كلها تتعين وتظهر فيها بحكم التمييز، وهي المعطية لكل من الأسماء والصفات والشؤون والاعتبارات والإضافات حقها على التمام والكمال.

المرتبة الخامسة

الوجود الساري

من مراتب الوجود هي الرحمانية المعبر عنها بالوجود الساري الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بنفس الرحمان(١)، وهذه هي الحضرة الرحمانية التي وسعت كل شيء، فوسعت الكثرة الإلٰهية التي هي الأسماء والصفات وإظهار آثارها، ووسعت الكثرة الكونية التي هي المركبات بترجيح وجودها على العدم حتى أوجدت فعمت الجميع بالرحمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

المرتبة السادسة

الربوبية

من مراتب الوجود هي الربوبية، وفيها يتعين وجود العبودية ويظهر موقع الجلال والجمال لتأثير الهيبة والأنس، وهي الحضرة الكمالية والمنصة العظموتية، وهي المجلى الأقدس المحيط بالنظر القدسي والمشهد المقدس، وإليها ترجع أسماء التنزيه وبها يختص التقديس، وهي المعبر عنها بحضرة القدس، ومن هذه الحضرة أرسلت الرسل وشرعت الشرائع وأنزلت الكتب وتعينت المجازات إما بالنعيم للمطيع وإما بالعذاب للعاصي، وهي محتد الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، من حيث النبوة والرسالة لا من حيث حقائقهم، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال تعالى عن سيدنا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨] فمرجع النبوة والرسالة إلى الربوبية ولها التعالي المطلق.

ولهذا قال تعالى لموسى عليه السلام: لن تراني؛ لأنه خاطبه في تجلي

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «إني لأجد نَفَس الرحمٰن من قبل اليمن». كشف الخفاء للعجلوني، حديث رقم (٨٠٠)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

الربوبية، فلو خاطبه في تجلي الرحمانية أو تجلي الألوهية أو الوحدانية لما كان يقع المنع أبداً؛ لأن الرحمانية لها الوجود الساري وهي عين كل امرىء، والألوهية لها الجمع فهي شيء وعين كل الأشياء، والواحدية كذلك، لكن لما خاطبه في تجلي الربوبية بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قيل له: لن تراني، لأن الربوبية من شأنها التقديس والتعالي والتنزيه عن لحوق هذه الأشياء بها، فطلب العبد من ربه رؤيته سوء أدب منه بالنظر إلى محل العبودية والربوبية لا بالنظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام، فإنه أكمل الأدباء لكنها حضرة اقتضت أمور هذه الشؤون وجرى بها القدر على حسب الإرادة الإلهية. فافهم.

ولهذا لما تجلى سبحانه وتعالى على الجبل بصفة الربوبية تدكدك الجبل وخرّ موسى صعقاً، أي فانياً فلو تجلى عليه بصفة الرحمانية لأبقاه به ولم يتأثر الجبل. فافهم والله تعالى أعلم.

المرتبة السابعة

المالكية

من مراتب الوجود هي المالكية وهي حضرة نفوذ الأمر والنهي، لأن الملك حاكم على ملكه، لا يستطيع من في مملكته أن يرد أمره أو نهيه، ومن هذا التجلي قوله تعالى للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، لأن المملوك طوع مالكه، والفرق بَيِّن، فأمره الوارد من حضرة الربوبية فيه نوع من التربية، ولهذا جاء على أيدي الواسطة التي هي عبارة عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأمكن العبد فيه المخالفة والطاعة بخلاف الأمر الوارد من الحضرة الملكية، فإنه لا يمكن فيه المخالفة البتة؛ فلا تقول لشيء كن كذا إلا كان على ذلك الوصف، ولهذا كان الأمر بغير واسطة لأن أمره نافذ على كل مأمور، ومن هذه الحضرة تأخذ الأسماء والصفات المؤثرة في الأكوان آثارها، فهي السيدة على الأسماء والصفات، فأول ما أخذت منها الصفات النفسية حقها.

المرتبة الثامنة

الأسماء والصفات النفسية

من مراتب الوجود هي الأسماء والصفات النفسية، وهي على الحقيقة أربعة لا يتعين لمخلوق كمال الذات إلا بها، وهي: الحياة، لأن كل ذات لا حياة لها ناقصة

عن حد الكمال الذاتي، ولهذا هنا ذهب بعض العارفين إلى أن الاسم الأعظم هو اسمه الحي، ثم العلم؛ لأن كل حي لا علم له فإن حياته عرضية غير حقيقية فالعلم من شرط الحي الذاتي، لأن كمال الحياة به، ولهذا كنى عنه تعالى، بالحياة فقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ يعني جاهلاً ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، يعني علمناه، وقدمت الحياة على العلم لأنه لا يتصور وجود عالم لا حياة له، فالحياة هي المقدمة للصفات النفسية كلها ولهذا سميت الحياة عند المحققين إمام الأئمة، يريدون بالأئمة الصفات النفسية كلها لأنها أئمة باقي الصفات إذ جميعها تدخل تحت حيطة هذه الأئمة، ثم الإرادة لأن كل حي لا إرادة له لا يتصور منه إيجاد غيره، والحق سبحانه وتعالى موجد الأشياء كلها فهو المريد، وبالإرادة تتخصص الأشياء ويترجح جانب الوجود على جانب العدم في الممكن.

ثم القدرة لأن كل من أراد شيئاً ولم يقدر على فعله فهو عاجز والحق تعالى يتعالى عن العجز، فهو القادر المطلق، وهذه الأربعة هي أمهات الأسماء وهو التجلي الثاني وهو مفاتح الغيب وبه يتم تعلقنا بكمال الذات، فإن من كان ذا حياة وعلم وإرادة وقدرة كان كاملاً في وجوده وإيجاده لغيره.

وأما اسمه السميع ثم البصير فمالنا في إضافتهما إلى الصفات النفسية إلا ورود الكتاب والسنة فيهما، ولأن العلم في المخلوق يستفيده بالسمع والبصر زيادة، وكماله في حق المخلوق بوجود السمع والبصر فنسبوهما إلى الصفات النفسية الحقية، لا على أن علمه تعالى يجوز فيه الزيادة والنقصان بل على حكم كمال الغائب بما حكم به في كمال الشاهد.

وأما اسمه المتكلم فهو ما ورد به الكتاب من مفهوم قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] فربط الحق تعالى التكوين بالقول، فتعين أن هذا الاسم والصفة من الصفات النفسية، لأن به كمال وجود في نفسه وإيجاده لغيره، فصارت جملة الأسماء النفسية سبعة، وبعضهم يجعلها ثمانية بالبقاء لأن البقاء من جملة كمال الذات الكاملة في وجودها وإيجادها لغيرها، فإنها ما لم تكن باقية لا يتصور إيجادها لغيرها. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

المرتبة التاسعة

حضرة الأسماء الجلالية

من مراتب الوجود هي حضرة الأسماء الجلالية كاسمه الكبير والعزيز والعظيم والجليل والماجد إلى غير ذلك من الأسماء الجلالية، وقد ذكرنا جميع الأسماء

والصفات في كتاب (شمس ظهرت لبدر قرهى)، وهو المجزوء الرابع من أربعين من كتاب (القاموس الأعظم والناموس الأقدم) وهو ذا بأيدينا اليوم والمرجو من الله تكميله، فلنكتف من ذكر تفصيل الأسماء كانت جمالية أو جلالية أو فعلية.

المرتبة العاشرة

حضرة الأسماء الجمالية

من مراتب الوجود، وهي حضرة الأسماء الجمالية كاسمه الرحيم والسلام والمؤمن واللطيف إلى غير ذلك من الأسماء الجمالية، ويلحق بها الأسماء الإضافية وهي الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد.

المرتبة الحادية عشرة

حضرة الأسماء الفعلية

من مراتب الوجود، هي حضرة الأسماء الفعلية وتنقسم هذه الأسماء إلى قسمين: قسم هي الأسماء الفعلية الجلالية كاسمه المميت والضار والمنتقم وأمثالها، وقسم هي الأسماء الفعلية الجمالية كالمحيي والرزاق والخلاق إلى غير ذلك من الأسماء الفعلية الجمالية. فافهم.

المرتبة الثانية عشر

عالم الإمكان

من مراتب الوجود هي عالم الإمكان، فإن التجليات الفعلية آخر التنزلات الإلهية الحقية، والعقل الأول أول التنزلات الإلهية الخلقية، فالإمكان مرتبة متوسطة بين الحق والخلق لأنه أعني الإمكان لا يطلق عليه العدم ولا الوجود لما فيه من قبول الجهتين، فإذا تعين ممكن من عالم الإمكان نزل وظهر إلى العالم الخلقي، وهكذا ما ليس بمتعين فإنه باقٍ على إمكانه، فعالم الإمكان برزخ بين الوجودين أعني: وجود القديم ووجود الحدث وسببه أنه لا يصح وقوع اسم العدم على الممكن من كل جهة اللهم إلا بنسبة ما، فيصح عليه من مقابلة تلك النسبة اسم الوجود أيضاً، فلا وجود ولا عدم فهو مرتبة متوسطة بين الوجود الحقيقي والمجازي، إذ العدم عند المحققين عبارة عن الخلق والوجود عبارة عن الحق والخلق معدوم والحق موجود والممكن متوسط بين المرتبتين، فالموجود المطلق الذي ليس بمعقود ولا معدوم ولا متلاشٍ ولا هالك هو الله تعالى عن أوصاف المحدثات.

واعلم أن حضرة الحق هي حضرة الجمع لأنها جامعة لحضرات الجمع والوجود والكشف والشهود، ولهذا قيل إن التحقيق والوصول غير المتوهم والمعقول، والدليل والبرهان غير الكشف والعيان والكل. فافهم.

المرتبة الثالثة عشر

العقل الأول

من مراتب الوجود، هي العقل الأول قال ﷺ: «أول ما خلق الله العقل»[١]. الحديث، والعقل هو القلم الأعلى. قال ﷺ: «أول ما خلق الله القلم»[٢]: الحديث. . . الخ، القلم هو الروح المحمدي، قال ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»[٣]. فعلم بهذه الأحاديث الثلاثة أن العقل والقلم الأعلى والروح المحمدي عبارة عن شيء واحد قد أودع الله تعالى جميع العلوم في العقل الأول، وإن شئت قلت في القلم الأعلى، وإن شئت قلت في الروح المحمدي، فالعلوم في العقل الأول مجملة كإجمال الكلام في الفؤاد، وهي مفصلة في النفس الكلي تفصيل الكلام على اللسان. كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

واعلم أن العقول العشرة: أعلاها العقل الأول، وأدناها العقل الفعال، وكلها مندرجة موجودة اليوم في ذات النفس الكلية، ولكن من العقول والنفوس الكلية فيك نسخة كاملة فميزها ترشد إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرنا في كتاب (الإنسان الكامل)[٤] تقسيم العقول الظاهرة في الإنسان وحصرناها على العقل الأول، والعقل الكلي، والعقل المعاشي، والعقل الضروري وبينا الفرق بينها بحدودها فلنقتصر هنا على ما ذكرنا والله تعالى أعلم.

---

(١) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٨٢٢)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت، حديث رقم (٢٢٧٧١).

(٣) العجلوني: كشف الخفاء، حديث رقم (٨٢٥)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» من أهم كتب الشيخ عبد الكريم الجيلي وأشهرها، مطبوع عدة طبعات منها: طبعة عيسى البابي الحلبي، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

المرتبة الرابعة عشر

الروح الأعظم

من مراتب الوجود هي الروح الأعظم، وهي النفس الكلية، وهي اللوح المحفوظ المعبر عنها بالإمام المبين، وبإمام الكتاب، فالعلوم الإلٰهية منبسطة في النفس ظاهرة فيها ظهور الحروف الرقمية في الورقة واللوح، وهي مندرجة في العقل اندراج الحروف في الدواة، فالعقل هو أم الكتاب بهذا الاعتبار، والنفس الكتاب المبين، كما أن القلم الأعلى هو أم الكتاب، واللوح المحفوظ الكتاب المبين، كما أن العلم الإلٰهي هو أم الكتاب، فالوجود بأسره بهذا الاعتبار هو الكتاب المبين، كما أن الذات الإلٰهية من وجه هي أم الكتاب، والعلم الإلٰهي هو الكتاب المبين. فتأمل هذه الإشارات وافهم مواقعها منك فيك تفز بسر القدر والله تعالى الهادي.

المرتبة الخامسة عشر

العرش

من مراتب الوجود. هي العرش وهو الجسم الكلي، فالعرش للعالم بمنزلة هيكل الإنسان للإنسان، محيط بجسمانيته وروحانيته وظاهره وباطنه، ولهذا سمته الطائفة بالجسم الكلي، فكما أن الروح مستوية أو مستولية على البدن من غير تخصيص لها بموضع دون موضع من هيكل الإنسان، فكذلك الموجود وجود العرش سار في الموجودات محيط بجميع العالم مستوٍ على جزئياته وكلياته، وذلك هو النفس الرحماني والاستواء الرحماني لمن فهم بغير حلول، فالوجود بأسره للحق كالصورة للروح، وقد بيناه في كتاب (بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم) من هذا العلم ما فيه غنية من التكرار.

واعلم أن القلب عرش الله عز وجل، والعالم كله عرش الرحمٰن، وبين العرشين ما بين الاسمين.

وقد بينا ذلك في كتابنا الموسوم (بالإنسان الكامل) فمن أراد استقصاء علم ذلك فليطالع هناك، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

المرتبة السادسة عشر

الكرسي

من مراتب الوجود، هي الكرسي وهو عبارة عن مستوى الفعلية، وما ورد في

الحديث من أن «رجلي الحق متدليتين على الكرسي»[١]، فأحد رجليه عبارة عن النهي والأخرى عن الأمر، والكرسي من هيكلك نفسك الناطقة القائمة ببدن جسمك، منها تنشأ الأسماء الفعلية لك، لأنها تطلب حصول الملائم ودفع غير الملائم، وذلك عبارة عن النهي والأمر باقتضاء الجزئية، وذلك باقتضاء الكلية، وجميع ما شرحناه أولاً وآخراً فانظر إليك فما أكمل ذاتك، تعالى الله الكامل سبحانه.

المرتبة السابعة عشر

عالم الأرواح الفعلية

من مراتب الوجود، هي عالم الأرواح العلوية وهم الملائكة المهيمة في جلال الله وجماله الحافون بالعرش وأهل المجالسة والمحاضرة الإلهية، وهم المعبر عنهم بعالم الجبروت وعالم المعاني، ليسوا من العناصر والطبائع دون سائر الملائكة، فإن الباقين مخلوقين من الطبائع، وملائكة كل سماء مخلوقون من طبيعة سماهم، وهؤلاء الملائكة هم أشرف خلق الله تعالى وكلهم مقربون قربة خصوصية. خلقهم من نور وحدانيته لكن كل واحد من محتد اسم من أسمائه وصفة من صفاته باعتبار التجلي الواحدي، وقد ذكرنا أسماءهم وحالاتهم ومحاتدهم ومشاهدتهم في كتابنا المسمى بكتاب (الألف) وهو الجزء الثاني من تجزية ثلاثين من كتاب (حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق)، فمن أراد معرفتهم فليطالع في الكتاب المذكور.

المرتبة الثامنة عشر

الطبيعة المجردة

من مراتب الوجود. هي الطبيعة المجردة على لباس الاستقصات والأركان التي خلق الله تعالى العالم فيها، وهذه الطبيعة للاستقصات كالمداد للحروف الرقمية وكالصوت للحروف اللفظية، ونعني بالاستقصات: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، بحكم انفراد كل واحد منها عن الآخر، وهذه الاستقصات للأركان كالطبيعة للاستقصات، فالاستقصات جميعها موجودة في كل ركن من الأركان، لكن النار يغلب فيها استقصان وهما: الحرارة واليبوسة، والهواء يغلب عليه استقصان:

---

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

وهما البرودة واليبوسة، فمتى لبست الطبيعة صورة استقصى من الاستقصات لا يمكن خلعها، ومتى لبست الاستقصات صورة ركن من الأركان لا يمكن خلعها، ومتى لبست الأركان صورة من صور الموجودات العنصرية لا يمكن خلعها، فيبقى ذلك الموجود موجوداً بعد فناء ظاهره في الطبيعة يشاهدها المكاشف عياناً كما كان يشاهدها الناس في الحس. وهذا الفلك الطبيعي واسع جداً خلق الله تعالى فيه الجنة والنار والمحشر والبرزخ وجميع ما في الدنيا وما هو قبل خلق الدنيا مما علمنا وما لا نعلمه من المخلوقات الطبيعية، وظاهره المحسوس لنا اليوم هو العالم الدنياوي وباطنه الغائب عنا هو العالم الأخراوي، وقابلية البطون والظهور هو البرزخ وهو عالم الخيال وعالم المثال، وهو عالم السمسمة، فنسخة الدنيا منك ظاهرك من الجوارح وغيرها، ونسخة البرزخ منك خيالك، ونسخة الآخرة منك العالم الروحي وهو باطنك. وقد شرحنا أمر كونك نسخة للموجودات في كتابنا المسمى (بقطب العجائب وفلك الغرائب.) والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

المرتبة التاسعة عشر
الهيولى

من مراتب الوجود، وهو الهيولى، وهي حضرة التشكيل والتصوير تتولد هذه الصور منها كما تتولد الأمواج في البحر، فإذا اقتضت الهيولى صورة من صور الوجود كان حتماً على الطبيعة إبرازها في العالم بالقدرة والإرادة الإلهية، لأن الله تعالى جعل اقتضاء الهيولى سبباً لإيجاد تلك الصورة كما جعل دعاء المضطر سبباً لإجابته تعالى، فقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فاقتضاء الصورة من الهيولى دعاء لسان الحال لوجود ما اضطرت إلى وجوده وهي الصورة التي تعينت في الهيولى، وتقدير الحق على الطبيعة بإيجاد تلك الصورة هي الإجابة الإلهية، فالهيولى بالنسبة إلى الصورة والأشكال كالماء للأشجار يتغير بحسب كل شجرة وثمرتها، قال الله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، فالماء أصل لجميع النباتات في ذواتها غير متميزة بعضها عن بعض بالفضل والطعم والقدر والقدرة والثمر والحسن والقبح إلى غير ذلك من الأمور التي تتميز بها الأشياء بالفضل بزيادة الحل والقيمة والنفع والطهارة واللطف، فكما أن النباتات صور للماء كذلك الصور كلها صور حقيقة الهيولى، وتمامها بتمام الصور وليس للصور آخر فليس لها نهاية، فهي تحت الطبيعة لأن اقتضاءها إنما هو بحكم الطبيعة، فافهم.

المرتبة العشرون

الهباء

من مراتب الوجود هي الهباء، وهو مكان حكمي لا وجودي أوجد الله العالم فيه، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أول من سمى هذا الهباء الذي هو مكان العالم. قلت لك: أوليس الله قد خلق العالم والعالم بأجمعه اسم لما سواه، فإن كان أوجده الله في نفسه كانت نفسه محلاً للحوادث تعالى عن ذلك، وإن كان أوجده في مكان مخلوق كان ذلك المكان من جملة العالم، فما بقي إلا أن نقول أوجده في مكان حكمي غير وجودي؛ حتى يخرج ذلك المكان عن حد العالم، ويخرج عن أن يكون ذات الحق تعالى، فافهم. هذا وجه إثبات هذا الفلك الهبائي بطريق رأي العقلاء والنظر، وأما عندنا فهو سبحانه أوجد العالم من علمه إلى عينه وعلمه عينه وعينه ذاته، والمراد من قولي أوجد العالم من علمه إلى عينه هو عبارة عن إضافة الحق تعالى نسبة الوجود إلى عينه؛ لأن الموجودات بأسرها لم تزل، موجودة له في علمه وعلمه على الحقيقة عينه وعينه علمه لأنه بذاته يعلم وبذاته يسمع وبذاته يبصر، ولو قلت يسمع بسمع ويبصر ببصر ويعلم بعلم.

قلنا إن ذلك العلم والسمع والبصر عين ذاته لا غيرها، فوجود العالم في الظاهر الكوني إيجاده لهم في بصره، وهو عبارة عن إضافته تعالى نسبة وجودهم إلى بصره، وهم قبل ذلك وبعده موجودون في علمه غير مفارقين للعلم حال إضافة نسبتهم إلى عينه، وغير مفارقين لعينه حال إضافة نسبة وجودهم إلى علمه، لأن عينه قراء علمه فلا يغيب عن شيء لكن إضافة نسبة الحق لهم إلى عينه أكسبهم الإيجاد العيني، فلو رفع عنهم هذه الإضافة لعدم العالم بأجمعه، فالعالم محفوظ بنظر الله تعالى إليه. وقد بينا ذلك بأوضح من هذا البيان في كتابنا (القاموس الأعظم والناموس الأقدم)، فلنختصر على هذا القدر في هذا الكتاب.

المرتبة الحادية والعشرون

الجوهر الفرد

من مراتب الوجود هي الجوهر الفرد لأنه أصل الأجسام فهو للأجسام بمنزلة الحروف للكلمة، وإن شئت قلت بمنزلة النقطة للحرف، وقد بينا ذلك في كتاب (النقطة)، فالجوهر ذات قابلة للاتصال غير قابلة للافتراق، ولهذا كان الجوهر نهاية أمر الأجسام في الانتراق والهلاك. فهلاك المركب انبساطه وتحليل أجزائه حتى

يصير كل جوهر منه مفرداً، والجوهر قبل التركيب يسمى الجوهر الفرد، وبعد التركيب يسمى الجوهر المركب، وبعد انحلال التركيب وهو انبساطه يسمى الجوهر البسيط والجزء الذي لا يتجزأ، إذ لا يصح ذكر الجزء بغير اعتبار الكل، وبعد الانحلال فالكل معتبر وهو المركب الذي قد انحل. فإذا علمت الجوهر فاعلم أن العرض عبارة عن أحواله وأوصافه وشؤونه وأحكامه إلى غير ذلك من أوصافه كلها، فهي له أعراض متغايرة عليه مع الدوام إذ بقاء العرض زمانين محال، وسبب ذلك أن العرض سمي عرضاً لانتقاله من محل قابل للأعراض إلى محل آخر. والجوهر محل فرد لا يقبل انتقال العرض فيه بل لا يزال طارئاً متنقلاً عنه غير مجاور له هكذا على الدوام. وسيأتي بيان استثناء هذه المسألة في المرتبة التي بعد هذه المرتبة عند ذكرنا تجديد خلق الخلق في كل آن والله تعالى أعلم.

المرتبة الثانية والعشرون

المركبات وأقسامها

من مراتب الوجود هي للمركبات، والمركبات تنقسم إلى ستة أقسام: مركبات علمية ومركبات عينية ومركبات سمعية ومركبات جسمانية ومركبات روحانية ومركبات نورانية.

١ ـ **فأما المركبات العلمية** فهي عبارة عن صور المعلومات في العلم فإن كل صورة من صور المركبات مركبة في العلم من صور وأجزاء، وجواهرها حسبما هو موجود في الخارج، وجميع ما يوجد في عالم الخيال هو من هذا القبيل على ما فيه من الاتساع، ولهذا كان الخيال برزخاً بين الروح والجسد؛ لأن صورة الخيال أجزاء كلها مأخوذة من عالم الحس وتركيبه وتصويره عالم الروح فصار ممزوج الحكم، مثال ذلك إذا صورت شجرة من زمردة خضراء لها ثمار من الياقوت الأحمر أحلى من العسل وألذ من النكاح وتكون هذه بقدر العالم مرات كثيرة طولاً وعرضاً وعمقاً، فأجزاء هذه الشجرة هي الزمردية والخضرة والحمرة والياقوتية والحلاوة العسلية واللذة النكاحية، والعالم الذي قست به هذه الشجرة والطول والعرض، فكل هذه الأجزاء حقائق أمور موجودة في عالم الأجسام وتعقلتها وركبت بعضها مع بعض في عالم خيالك، وهذا التركيب ليس في قوة عالم الأجسام بل هو لعالم الأرواح، فظهرت لك تلك الشجرة في عالم خيالك بواسطة عالم الأجسام وعالم الأرواح فليس هو ملحق بأحدهما، فلو كان من عالم الأجسام وحده لرأتها الخلق ولما كان يمكن أن تكون، لأنك قلت بقدر

العالم بمرات كثيرة، ولو كانت من عالم الأرواح وحده لبقيت ببقاء الأرواح لكنها التحقت بالفناء بحكم الجسم عليها وتصورت لك ذلك التصوير بحكم الروح فيها فإن الروح واسعة. وهذا الذي ذكرناه لك هو سر ممتزج الأرواح بالأجسام؛ لأنها تكتسب بواسطة الجسم كمالات لا يمكنها أن تكتسبها إلا به.

ألا ترى إلى من ولد أعمى لا تعرف روحه كيفية الألوان ولا حسن الخلقة المكتسبة بالبصر، فتذهب روحه وقد فاتها من الكمال هذا النوع من العلم بصنع الله تعالى لا يعرف أخبار الأنبياء وما وردت به الشرائع، فيموت وقد فاته هذا النوع من صنع الله تعالى وبقدر ما يجهل من مصنوعاته يجهله من الكمال. وقد اكتسبت الكمالات بمالها من الجوارح والحواس غير السمع. فإذا فهمت سر الامتزاج بين الروح والجسد؛ فاعلم أن الخيال هو مثل عالم البرزخ الذي تكون فيه الأرواح بعد مفارقتها الأجسام إلى يوم القيامة لأنها لا في دار الدنيا ولا في دار الآخرة، وقد علمت بما ذكرنا المركبات العلمية.

٢ - **وأما المركبات العينية** فكالأعراض التي هي تتواتر وتتوارد على الجوهر وتشهد الأعيان لتلك الأعراض بقاء ووجوداً إذ ذلك البقاء هو مركب من أعراض كثيرة متواترة على الجوهر بالحقيقة، فالجوهر أيضاً مخلوق في كل نفس بحكم ذلك العرض خلقاً جديداً فتتبدل الأجزاء بتبديل الكل، ولهذا قالت الطائفة المحققون إن العالم مخلوق مع الأنفاس جديداً، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] ألا ترى البخار المجتمع تحت الأرض كيف إذا لم يجد منفذاً يتغير فيصير ماء رجراجاً، ثم إذا صار فيه استعداد وقابلية من الأرض صار زيبقاً فتبدلت ذاته فصارت محدودة بحدود ليست من حدود البخار ولا من حدود الماء، بل كل من البخار والماء، والزيبق محدود بحد آخر ولكل حقيقة متميزة عن حقيقة الآخر، وهذا التغيير الذي وقع لو كان في زمان واحد لشوهد عياناً كما يقع في ماء الزاج والعفص، ولكن هذا التغير شيئاً فشيئاً بحيث ألَّا تدركه الحواس، ولهذا التبس أمره على الخلق فصاروا في لبس من خلق جديد، وهذه المركبات العينية تتركب بوجود أجزاء مجتمعة في البصر فيشاهد الناظر شيئاً واحداً لقوة المثلية في الأجزاء والأعراض المختلفة المتواترة التي باختلافها تختلف ذات الجوهر عينه، وقد استقصينا الكلام في هذا المعنى في كتابنا الموسوم (بحقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه، ومن وجه للخلق) فلنقتصر من ذكر ذلك على هذا القدر في هذا الباب، والله الموفق لا رب غيره.

٣ - **وأما المركبات السمعية**: فالكلمة تتركب من حروف كثيرة يسمعها الشخص شيئاً

واحداً، والنغم كذلك والألحان المسموعة من الأوتار مركبة من صوت الحرير والخشب والحديد والنحاس أو الجلد والشعر إلى غير ذلك من أنواع آلات الطرب وغيره، حتى أن ضرب الكف على الكف مركب من صوت وقع كل واحد منهما على الآخر، فافهم.

٤ ـ **وأما المركبات الجثمانية**: فعلى ثلاثة أنواع وأعلاها هو الخط، وهو ما له البعد الأول وهو الطول لا غير، وهو يتركب من جوهرين فصاعداً، فإذا انضم جوهر إلى جوهر وتركبا حصل الطول لا غير، وأوسطها هو الخط وهو ما له بعدان مجتمعان وهو الطول والعرض وهو يتركب من أربعة جواهر فصاعداً فيحصل من تركيب اثنين البعد الطولي، ومن تركيب اثنين البعد العرضي، فيسمى سطحا. وأسفل المركبات هو الجسم، وهو ثلاثة أبعاد الطول والعرض والسمك بالنظر إلى فوق والعمق بالنظر إلى تحت وهو متركب من ثمانية جواهر فصاعداً، وأول موجود في عالم التركيب الجثماني الفلك الأطلس وآخره الإنسان.

٥ ـ **وأما المركبات الروحانية** فأجزاؤها مركبة من العالم الروحي، وكل جزء منها أمر حكمي باعتبار ونظر، ولها جزء باعتبار ونظر يعرفها من شاهد ذلك العالم وعرف صورها، وهذا أمر ليس أعجب منه وفي ذلك العالم ما هو أعجب من هذا، ولو أذن لي لبينت لك كيفية ذلك بألطف عبارة وأحسن إشارة في هذا المكان، ولكنني مأمور بوصفه في كتاب (الناموس الأعظم والقاموس الأقدم) فإذا قدر الله لي بفعل ما أمرني به رأيته في محله من ذلك الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦ ـ **وأما المركبات النورانية**: فهي الأجرام الفلكية المعبر عنها بالكواكب متركبة الأجزاء من العناصر الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وكل كوكب منها حقيقة واحدة غير قابلة للتقسيم في نفس الأمر على ما شاهده الحس منها من الكبر والعظمة، حتى أن الفلاسفة مجتمعين على أن الشمس بمقدار الدنيا مائة مرة ونيفاً وستين مرة.

وقد أيد الشيخ محيي الدين بن العربي هذا وذكره في كتاب (الفصوص)[١]، وقال فيه ما شابه هذه المقالة. وهذا أمر عجيب وهو أن يوجد موجود بهذا العظم لا

---

(١) كتاب «فصوص الحكم» للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي يعتبر من أهم كتبه بعد الفتوحات المكية بل هو من أهم الكتب في التراث الصوفي وعلى وجه التحديد في علم الحقيقة أو الإحسان.

يقبل التقسيم في نفس الأمر وإدراك هذا على العقل بعيد، ويلحق بهذه الأجرام الفلكية الأنوار الأرضية المركبة من وجود النار والهواء الممازج لها في أفقها بواسطة الدهن أو الشمع أو الحطب أو ما جرى مجراها، فافهم.

المرتبة الثالثة والعشرون

الفلك الأطلس

من مراتب الوجود هي الفلك الأطلس وهي فلك وجودي عيني يدور تحت الكرسي وفوق بقية الأفلاك التي يأتي ذكرها في مراتبها بعده، وقولنا وجودي تنبيهاً على أن الأفلاك المذكورة قبله كالهباء والطبيعة وأمثالها كلها حكميات لا عينيات، وهذا الفلك إنما سمي أطلساً لأنه لا نجم فيه ولا كوكب فيه فليست له علامة يعرف بها مدة دورانه وقطعه للدائرة، وقد شاهدت في موضع من هذا الفلك فلكاً صغيراً يدور سبعين ألف مرة في مدة طبق الجفن وفتحه، فسألت عن هذا الفلك الصغير فقيل لي هو فلك الآن يعني أن كل دورة من دورانه تسمى آنا، وهذا الفلك الأطلس هو المحرك لجميع الأفلاك الدائرة بحركته، وحركته منبعثة من الطبيعة على نسق واحد ومشيئة واحدة، ولهذا دام بقاء العالم مدة طويلة بإرادة الله تعالى، ولو لم يرد بقاء العالم هذه المدة الطويلة لما جعل حركة الفلك الأطلس المحرك للأفلاك منوطة بانبعاث الطبيعة وهي لا تزال تنبعث إلى أن يشاء زوال العالم فتسلب الطبيعة الانبعاث فيقف الفلك الأطلس، وبوقوفه باقي الأفلاك فتتناثر الكواكب وتقوم الساعة بأمره ولو تكلمنا على كيفية ذلك احتجنا إلى تطويل كثير ليس هذا المختصر محله.

المرتبة الرابعة والعشرون

فلك الجوزاء

من مراتب الوجود، فلك الجوزاء هو كوكب حكمي لا وجود له بعينه بل هو عبارة عن بعدين معلومين يكونان بين الشمس، والقمر، فيسمى أحد البعدين رأساً والآخر ذنباً، ففي أحدهما تكون الأرض مبسوطة بين جرم القمر وبين جرم الشمس فيمتنع القمر من قبول نور الشمس، فيكون خضوعه لأن نوره من نور الشمس، وفي البعد الثاني يكون القمر مبسوطًا بين الأرض وبين الشمس فيمنع الشمس أن يقع ظلها على الأرض كما يمنعها السحاب؛ فيكون كسوفها، ولو أردنا بيان كيفية ذلك لأشغلنا عليك الوقت بكثير من علم الحساب وهو فلسفة محضة فليكفك هذا القدر من ذكر هذا المعنى. وهذا الكوكب الحكمي إنما جعلوه فوق مرتبة فلك الأفلاك لأن الأمور

الحكمية أعلا مرتبة في الوجود من الأمور الموجودة الحسية وإن لا لكان موضع ترتيبها تحت فلك المكوكب لأنه فلك البروج ولولاه لم تكن حكمية، والله عز وجل أعلم.

المرتبة الخامسة والعشرون

فلك الأفلاك

من مراتب الوجود، هي فلك الأفلاك وهو الفلك المسمى بالفلك المكوكب ومنطقة البروج، فيه جميع الكواكب الثابتة والسيارة ما خلا السبعة الكواكب التي هي في السبع سمٰوات وإلا فجميع الأنجم والكواكب في هذا الفلك، ولهذا سمي منطقة البروج وفلك الأفلاك والفلك المكوكب، واعلم أن وجود النجوم في أفلاكها كوجود الحوت في الماء لكل نجم في فلكه فلك صغير يدور فيه النجم، وله قطب من جنسه يحفظه في الفلك المكوكب كما يحفظ القلب الدولاب، وقد بينا كيفية السمٰوات والأفلاك في كتابنا (الإنسان الكامل) والله تعالى أعلم.

المرتبة السادسة والعشرون

سماء زحل

من مراتب الوجود هي سماء زحل وهو السماء السابع، وجوهر هذه السماء أسود كالليل المظلم خلقها الله تعالى مقابلاً للعقل من الإنسان وهي سماء سيدنا إبراهيم ﷺ مسافة دوره مسيرة أربعة وعشرين ألف سنة وخمسمائة عام.

المرتبة السابعة والعشرون

سماء المشتري

من مراتب الوجود هي سماء المشتري، جوهر هذه السماء أزرق اللون خلقها الله تعالى مقابلاً للهمة من الإنسان وهي سماء سيدنا موسى ﷺ، مسيرة دورها مسافة اثنين وعشرين ألف سنة وستة وستين سنة وثمانية أشهر والله أعلم.

المرتبة الثامنة والعشرون

سماء بهرام المريخ

من مراتب الوجود هي سماء بهرام وهي المريخ، خلقها الله تعالى مقابلاً للوهم من الإنسان لونها أحمر كالدم، وهي سماء سيدنا يحيى ﷺ مسيرة دورها مسافة تسعة عشر ألف سنة وثلاث مائة وثلاث وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوماً.

المرتبة التاسعة والعشرون

سماء الشمس

من مراتب الوجود وهي سماء الشمس لونها أصفر كالذهب وهي قلب الأفلاك، خلق الله تعالى هذا السماء مقابلاً للقلب من الإنسان، وهي سماء سيدنا إدريس ﷺ مسافة دورها سبعة عشر ألفاً وخمسمائة عام، والله أعلم.

المرتبة الثلاثون

سماء الزهرة

من مراتب الوجود: وهي سماء الزهرة، جوهر هذه السماء أخضر اللون، خلقها الله تعالى مقابلاً للقوة الخيالية من الإنسان وهي سماء سيدنا يوسف عليه السلام، مسيرة دورها خمسة عشر ألف سنة وست وثلاثين سنة ومائة عشرين يوماً.

المرتبة الحادية والثلاثون

سماء عطارد

من مراتب الوجود هي لسماء عطارد، جوهر هذه السماء أشهب اللون، خلقها الله تعالى للحقيقة الفكرية من الإنسان، وهي سماء نوح عليه السلام، مسيرة دورها مسافة ثلاثة عشر ألف سنة وثلاثمائة سنة وثلاث وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوماً.

المرتبة الثانية والثلاثون

سماء القمر

من مراتب الوجود هي لسماء القمر، جوهرها شفاف أبيض كالفضة خلقها الله تعالى مقابلاً للروح من الهيكل الإنساني وهي سماء آدم عليه السلام، مسافة دوره إحدى عشر ألف سنة، وقد ذكرنا في الباب الثاني والستين من الإنسان الكامل عجائب وغرائب مما أودع الله في السمٰوات السبع، فلنكتف بهذا القدر من ذكر السمٰوات في هذا المحل والله أعلم.

المرتبة الثالثة والثلاثون

الفلك الأثير

من مراتب الوجود وهي للفلك الأثير، وهي المسماة بالكرة النارية أول ما

تنبعث الحركة الفعلية في عالم الكون والفساد من هذه الكرة، بحسب ما يقتضيه العقل الفعال، وهو العقل العاشر، وكان هذا الفلك مؤثراً في العالم الأرضي؛ لأنه حاوٍ لأقوى الاستقصات الأربع إذ طبعه الحرارة واليبوسة والتأثير لهما في الباقيات؛ لأن الحرارة أقوى من البرودة، واليبوسة أشد من الرطوبة فجميع هذا الفلك هذين القسمين القويين من أقسام العناصر فصار مؤثراً.

المرتبة الرابعة والثلاثون

الفلك المأثور

من مراتب الوجود هي للفلك المأثور، وهي المسماة بالكرة الهوائية، وطبعه الحرارة والرطوبة فبواسطة الرطوبة تتأثر من الفلك الأثير وبواسطة الحرارة تؤثر فيما تحته، ونسخة هذه الكرة من الهيكل الإنساني الدم، كما أن نسخة الفلك الذي فوقه منه الصفراء، كما أن نسخة الفلك المائي الذي تحته منه البلغم؛ كما أن نسخة الكرة الترابية منه السودا.

المرتبة الخامسة والثلاثون

الفلك المستأثر

من مراتب الوجود هي للفلك المستأثر، وهو المسمى بالكرة المائية طبعه البرودة والرطوبة. اعلم أن الله تعالى ما جاور بين كل هذه الأفلاك وبين ما يليه، إلا لنسبة بينهما، جاور بين الكرة المائية والكرة الهوائية للرطوبة السارية فيهما، وجاور بين الكرة الترابية والكرة المائية للبرودة السارية فيهما، وبهذه النسبة يقع تأثير كل منهما في الآخر ولا سبيل إلى أن يؤثر شيء في شيء إلا بوجود نسبة بينهما، كما أنه لا سبيل لأن يجتمع شيء بشيء إلا لنسبة، وهذه النسبة إما ذاتية وإما وصفية وإما فعلية، وكل واحد من هذه الثلاثة إما لازمة وإما عارضة.

بعض الحكماء وبعض المجانين

حكي أنه حكى بعض الحكماء أنه خرج يوماً من بيته فأقبل إليه رجل من المجانين يقبل كفه، فقال في نفسه ذلك لولا أن بيني وبينه نسبة لما جاء إلي وقبل كفي، فتأمل في مزاج نفسه فرأى الغلبة فيه للطبيعة السوداوية، فقال من ها هنا كان نسبياً لي، فمكث مدة يعالج نفسه حتى اندفع عنه ذلك الطبع السوداوي.

ويحكى عن بعض العلماء، أنه رأى حمامة وغراباً مجتمعين في مكان واحد فتعجب لذلك لعدم النسبة له بينهما، فلما أمعن النظر رأى في كل منهما عرجاً في رجله؛ فقال من هذه النسبة حصل الاجتماع وتحت هذا علم كبير يلزم أن ينبه له.

المرتبة السادسة والثلاثون

الفلك المتأثر

من مراتب الوجود هي الفلك المتأثر، وهو المسمى بالكرة الترابية، ومحط ظهور التأثيرات الكونية، فكلما حصل في الأفلاك التي فوقها تأثيراً وتأثر ظهر في هذه الكرة حكم ذلك التأثير والتأثر على نمط معلوم عند أهله، ولولا الخشية من التطويل والدخول إلى شيء من علوم الفلسفة؛ لشرحنا جميع ذلك وذكرنا أمهات المتأثرات؛ وبينا كيفية تأثير الشيء الواحد بتأثير من تأثر بعين ذلك الأثر، وكيف يكون الشيء الواحد علة لوجود نفسه، وهذا بخلاف ما يقتضيه العقل لأنه يستحيل في حكم العقل أن يكون الشيء علة لوجود نفسه إذ لا بد من تغاير العلة والمعلوم، وأما عندنا فهذا لا يلزم، بل تارة يكون الشيء معلولاً لعلة هو غيرها، وتارة يكون معلولاً لعلة هو عينها، وهذا أمر ذوقي يكشفه الله تعالى لمن يشاء من خلقه.

المرتبة السابعة والثلاثون

المعدن وأنواعه

من مراتب الوجود هي المعدن، وهو على أنواع كثيرة، وكلها تختلف من الأبخرة والدخاخن الصاعدة من الأرض في جوفها إلى خارج، وقد بينا ذلك في كتاب (الألف) وهو جزء من ثلاثين جزءًا لحقيقة الحقائق، فمن أراد ذلك فليطالع هناك وبالله التوفيق.

المرتبة الثامنة والثلاثون

النبات

هي النبات وهو الجسم النامي، وهو أنزل من المعدن بمرتبة وهو النمو، لأن المعدن هو الجسم المركب من الجواهر البسيطة، ولهذا ذهب جمهور الحكماء إلى أن في النبات روحاً، ومن ثم امتنعت طائفة البراهمة عن قطع الأشجار حتى أن الواحد لو احتاج إلى شوكة لم يقتلعها لأن مذهبهم يقتضي أن لا يؤذوا الحيوانات

ولا يأكلوها، فهم لا يأكلون حيواناً ولا يقتلونه ولو أذاهم، ولا يأكلون ما يؤول إلى الحيوان كالبيض، ثم امتنعوا من قطع الأشجار لما فيها من النمو زعماً أن لها روحاً وأن النمو إنما هو بواسطة الروح. وقد رأيت في بلادهم شجرة إذا قربت إليها لتمسكها تنقبض أوراقها أو تنكمش كأنها ذات روح. على أنه عند المحققين ما في الوجود شيء من المحسوسات إلا وهو ذو روح سواء كان معدناً أو نباتاً أو حيواناً أو غير ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ولا يصح التسبيح إلا لمن له روح، فكل شيء له هذه الروح التي هي مشهودة للمكاشف ومخاطبة له، وتسبيحها على أنواع بانت عجيبة من وجوه كثيرة، فسبحان من يسبحه كل شيء بكل لسان. واعلم أن النباتات برزخ بين المعدنية والحيوانية، لأن المعدن جامد على حال واحد، والحيوان متحرك بالإرادة، والنباتات برزخ بينهما لأنه يتحرك بالاختيار فهو جماد بنظر وغير جماد بنظر، فافهم.

المرتبة التاسعة والثلاثون

الحيوان

من مراتب الوجود وهي الحيوان، وحدّه العقلاء بأنه الجسم النامي المتحرك بالإرادة، وهو عندنا عبارة عن الروح الممتزجة بالجسم لا غير، فلو مزق الجسم وتلاشى وظهرت روحه في العالم بحسب تلك الصورة التي كانت الروح ممتزجة بجسدانيتها، سمَّينا ذلك الروح حيواناً على حسب ما هي عليه تلك الصورة إما فرس وإما إنسان وإما غير ذلك من أنواع الحيوانات. واعلم أن الحياة على خمسة أنواع:

النوع الأول: حياة وجودية وهي سائرة في جميع الموجودات علويها وسفليها، لطيفها وكثيفها، فكل موجود من أنواع الموجودات علويها له من هذه الحياة الوجودية حياة، وهي عين وجوده، وذلك ما تسميه الطائفة بالوجود الساري في الموجودات.

النوع الثاني: حياة روحية وهي الحياة الملكية لسائر الموجودات في العالم الروحاني بالأصالة، ولهذا كانوا باقين ببقاء الله تعالى لهم، لأن الروح من حيث هي روح حياة محض، وهو منافٍ للممات والهلاك، وما ورد من زوال الملائكة بالصعق يوم الفناء الأكبر إنما هو بوجه واعتبار لا من كل الوجوه، فافهم. وهذه الحياة الروحية للحيوانات منها نصيب فهي لهم بحكم التبعية فليس لهم عقل معاشي، ولهذا زالت عنهم الحياة الدنيا وبقيت لهم الحياة الأخروية، وبقاء كل من الحيوانات في الدار الآخرة بحسب حياته، فمن كانت له حياة كاملة كالإنسان والجان بقي في الدار الآخرة ببقائها موجوداً عياناً تاماً كاملاً، ومن كانت حياته ناقصة كان موجوداً فيها

حكماً لا غيباً(١).

النوع الثالث: حياة بهيمية وهذه الحياة هي الحرارة والرطوبة الغريزتان الكامنتان في الدم الجاري في تجاويف الكبد، وهو المعبر عنه من نفس الحيوانية، ولا يدخل عليك الغلط فيما تراه من عدم وجود الدم في بعض الحيوان، فإن له مادة تقوم مقام الدم حرارة ورطوبة وكذلك بعض الحيوان ليس له كبد وله عضو رئيسي يقوم مقام الكبد فيصرف الغذاء في جسمه كما يتصرف الكبد في الأجسام الحيوانية.

النوع الرابع: حياة عارضة وهي الكمالات الحاصلة بحسب الأمر الوارد عليه كالعلم فإنه حياة للجهل، وكالربيع فإنه حياة للأرض، وكوقوع نور الشمس على جرم القمر فإنه حياة له، وكإشراق ضوء الشمس على وجه الأرض فإن ذلك حياة لها، وهذا الأمر كثير جداً لا يمكن حصره.

النوع الخامس: حياة الهيئة الأصلية اللازمة التي هي من كل الوجوه وبكل الاعتبارات في غاية ما يكون من الكمال، فهذه أنواع الحياة، فمن الموجودات ما فيه نوع واحد، ومنها ما فيه نوعان وثلاثة وأربعة، وأما جمعها بالإحاطة الخمسة أنواع فإنه لا يكون إلا للإنسان الكامل فقط، فهو حامل لجميع أنواع الحياة ولا يجوز أن يكون ذلك لغيره فالإنسان الكامل له مرتبة الجمع دون ما سواه، وهذا أوان الكلام فيه والله تعالى أعلم.

المرتبة الأربعون:
الإنسان(٢) وفائدة معرفة النفس

من مراتب الوجود هي الإنسان وبه تمت المراتب وكمل العالم وظهر الحق

(١) كذا بالأصل والصواب (عياناً).

(٢) يقصد الجيلي الإنسان بشكل عام والإنسان الكامل بشكل خاص وهو سيدنا محمد ﷺ ويقول الجيلي في كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» موضحاً ذلك: «إن أفراد النوع الإنساني في كل واحد منهم نسخة للآخر بكماله لا يفقد في أحد منهم مما في الآخر شيء إلا بحسب العارض، كمن تقطع يداه ورجلاه، أو يخلق أعمى لما عرض له في بطن أمه، ومتى لم يحصل العارض فهم كمرآتين متقابلتين يوجد في كل واحد منهما ما يوجد في الأخرى، ولكن منهم من تكون الأشياء فيه بالقوة، ومنهم من تكون فيه بالفعل وهم الكمل من الأنبياء والأولياء، ثم إنهم متفاوتون في الكمال فمنهم الكامل والأكمل، ولم يتعين أحد منهم بما تعين به محمد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله، فهو الإنسان الكامل والباقون من الأنبياء والأولياء والكمل صلوات الله عليهم ملحقون به لحوق =

تعالى لظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته فالإنسان أنزل الموجودات مرتبة وأعلاهم مرتبة في الكمالات فليس لغيره ذلك، وقد بيناه أنه الجامع للحقائق الحقية والحقائق الخلقية جملة وتفصيلاً حكماً ووجوداً بالذات والصفات لزومًا وعرضاً حقيقة ومجازاً، وكلما رأيته أو سمعته في الخارج فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان أو اسم لحقيقة من حقائقه، فالإنسان هو الحق وهو الذات وهو الصفات وهو العرش وهو الكرسي وهو اللوح وهو القلم وهو الملك وهو الجن وهو السمٰوات وكواكبها وهو الأرضون وما فيها وهو العالم الدنياوي وهو العالم الأخراوي وهو الوجود وما حواه وهو الحق وهو الخلق وهو القديم وهو الحادث فللّه در من عرف نفسه معرفتي إياها لأنه عرف ربه معرفته لنفسه(١)، وليكن هذا آخر الكتاب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين أمين.

الحمد لله تم كتاب

«مراتب الوجود وحقيقة كل وموجود»

= الكامل بالأكمل، ومنتسبون إليه انتساب الفاضل، ومطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به محمداً ﷺ، تأدباً بمقامه الأعلى ومحله الأكمل الأسنى، ولي في هذه التسمية له إشارات وتنبيهات على مطلق مقام الإنسان الكامل لا يسوغ إضافة تلك الإشارات، ولا يجوز إسناد تلك العبارات إلا لاسم محمد ﷺ إذ هو الإنسان الكامل بالاتفاق، وليس لأحد من الكمل ماله من الخلق والأخلاق». (الباب الموفى ستين ص ٢٠٧ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت).

(١) هذه الصفات التي يتحدث عنها الشيخ الجيلي يراد بها ما في الإنسان من كمالات إلٰهية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فالإنسان يقابل عالم الملك بجسمه ونفسه ويقابل عالم الملكوت بقلبه وعقله ويقابل عالم الجبروت بروحه وسره. ويقول الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه: أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر، فالإنسان من حيث بشريته هو حادث ممكن وعدم وخيال وباطل، ومن حيث روحانيته هو الواجب بالله تعالى والوجود والحق والحقيقة. يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري في حكمه: «تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بذلك يمدك بعزه، تحقق بعجزك يمدك بقدرته». قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». (رواه البخاري عن أبي هريرة حديث رقم ٦٥٠٢) فكل ما ظهر من الإنسان من نقص فهو له وكل ما ظهر فيه من كمالات فهي لله تعالى.